﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أنْ ذكرَ تعالى أهلَ التّقوى في الآية السّابقة وما وعدَهُم اللّه به من الخيرِ؛ بيّن في هذه الآية دواعيَ استحقاقِهم مغفرتَه، وفسّر أحوال المُتّقين الموعودين بجنّاته؛ فَهُمْ أولئك المؤمنون المعترفون بالإيمان المُقرّون به وبدواعيه، ومع ذلك مُقرّون بِذُنُوبِهم، سائلون اللّه تعالى أن يغفرها لهم، وأنْ يَقِيَهُم شقاء العذابِ في النّار يوم القيامة[1].

ولمَّا أخبرَ سبحانَه بأنّه بَصِيرٌ بمَن يستحقُّ ما أَعدَّه له من الفوز أَتبعَه بذِكر سببِ استحقاقِهم ذلك من الأوصافِ تفضُّلًا منه عليهم بها، وبإيجاب ذلك على نفسه حثًّا لهم على التخلُّق بتلك الأوصاف.

ولمّا وَصَفَ تعالى قلوبَهم بالتّقوى وبَرَّأَهم من الاستغناءِ بشيءٍ من دونه وصفَ أدَبَهم في المَقال، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾.[2]

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَقِنَا﴾: فعل طلب من الوِقاية، وهي: دَفْعُ شَيْءٍ عن شيءٍ بغيرِه، وحفظُه ممّا يُؤذيه ويَضُرّه باتّخاذ حاجزٍ دونَه[3]، يقال: وَقَاهُ يَقِيهِ وِقاية: حفِظَه وصانَه ومنَعه من الضَّرر والأذى، واتّقى الشيءَ: جعلَ بينَه وبينَه وِقاية[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بيَّن اللّهُ تبارَك وتعالَى في الآية الكريمةِ أحوالَ المتَّقين الَّذين يستحقُّون هذا النَّعيم،

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/411.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 4/279، بتصرّف يسير.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (وقى).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (وقى).

فذكَر أنهم هم الَّذين يتوسَّلون إلى اللهِ تبارَك وتعالَى بإيمانِهم به أنْ يمُنَّ عليهم بمغفرةِ الذُّنوبِ، والوقايةِ من عذاب النَّارِ، وفي هذا الدُّعاء اعترافٌ بالذّنوب وإنابَةٌ إلى اللّه تعالى، فبدأ بالإيمان الذي هو رأسُ التّقوى، ورتَّبوا على ادّعائهم الإيمانَ سؤالَهُم المَغفرةَ والوِقايةَ من العذابِ، وجاءَ ترتيبُ الوِقايةِ لمجرّدِ الإيمانِ، فدَلّ على أنَّ المؤمنينَ يستحقّونَ المغفرةَ بإيمانهم، وخصّوا المسألةَ بأن يقيهم عذابَ النار؛ لأنَّ من زُحزح يومئذٍ عن النار فقد فازَ بالنجاةِ من عذاب اللّه وحسنِ مآبه[1].

وفي ترتيب الدّعاء على مجرَّدِ الإيمان دلالةٌ على كفايته في استحقاق المغفرةِ والوِقاية من النّار[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

أثرُ إعرابِ ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في تجلية المعنى:

تعدُّدُ الأعاريبِ يُعطي القارئَ احتمالاتٍ دلاليَّةً متنوِّعةً

الاسمُ الموصولُ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ يَحْتَمِلُ الرّفعَ والنّصبَ والجرَّ، فالرّفعُ على أنّه مبتدأ محذوفُ الخبرِ، تقديرُه: الذين يقولون كذا مستجابٌ لهم، أو لهم ذلك الخيرُ المذكورُ.

أو على أنّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، كأنّه قيل: مَنْ هم هؤلاء المتقون؟ فقيل: الذينَ يقولون كَيْتَ وكَيْتَ.

والنّصبُ بإضمار أَعْني أو أمدحُ. والجَرُّ على أنّه نعتٌ للذين اتّقوا أو بدلٌ منه، أو نعتٌ للعباد أو بدلٌ منه، والمرادُ على الأخير: إعلامُهم بأنّه تعالى عالمٌ بمقدار مشقَّتِهم في العبادة فهو يُجازِيهم عليها[3].

معنى القول في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ "الكلامُ المطابِقُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/264.
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 2/11.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 7/165 - 166، والسمين، الدر المصون: 3/69، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/56 - 58، والآلوسي، روح المعاني: 2/99.

للواقعِ في الخبرِ، والجاري على فَرْطِ الرّغبة في الدّعاء في قَوْلِهِمْ: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ إِلَخْ، وَإِنَّمَا يَجْرِي كَذَلِكَ إِذَا سَعَى الدَّاعِي فِي وَسَائِلِ الْإِجَابَةِ وَتَرَقَّبَهَا بِأَسْبَابِهَا الَّتِي تُرْشِدُ إِلَيْهَا التَّقْوَى، فَلَا يُجَازَى هَذَا الْجَزَاءَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِفَمِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ"[1].

القولُ المقبولُ في الدُّعاءِ هو ما طابقَ قلبَ قائِلِه

سرُّ التَّعبيرِ بالاسم الموصولِ ومجيءِ صلته مضارِعًا:

عبَّر بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دون الاسمِ الظاهرِ، فلم يقل: القائلين، وذلك لمَزيدِ مَدْحهم، وأتى بصلةِ الموصولِ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ فعلًا مضارِعًا ولم يأتِ بصيغةِ الماضي كما أتى قولُه: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [آل عمران: 15]؛ لبيانِ أنَّ التَّقوى هي العنصرُ الثَّابتُ في القلبِ، وليفيد تجدُّدَ ذلك الدُّعاءِ واستمرارَه مع تجدُّدِ الأجيال المؤمنةِ، فيَصنَعُ صَنِيعَهُ فيهم بإرشادِهم إلى طلبِ المغفرةِ وحُسنِ الجَزَاء في الآخرةِ كما فُعِلَ فيمَنْ سَبَقهم.

التَّقوى هي العنصرُ الثَّابتُ للأقوالِ الصَّادقةِ المتُجدِّدة

بلاغة الإطناب بذكرِ ﴿إِنَّنَآ﴾:

في قولِ الدَّاعين: ﴿إِنَّنَآ﴾ تأكيدُ الكلامِ بمؤكِّدَيْن اثنين، وهما: (إنّ) وضميرُ المتكلِّمين (نا)، وهو من قَبيلِ الإطنَابِ، إذ لو حُذِفتْ من الكلامِ فقيل: (ربّنا آمنّا فاغفر لنا)؛ فُهِمَ المعنى المُرادُ، مع تحقُّق الإيجازِ اللَّفظيِّ، لكنّ الإطنابَ بذكرِ ﴿إِنَّنَآ﴾ يُضفي على الدُّعاءِ معنًى لا يتحقَّقُ بدونِه، إذ يُوحي ذلك التَّأكيدُ سُمُوَّ الدُّعاء وصدقَ قائلِه، ويومِئُ بنوعِ رجاءٍ مُحاطٍ بالخشيةِ، ولإظهار أنّ إيمانَهم ناشئٌ من وُفورِ الرّغبة وكمالِ النّشاط[2]، بالإضافةِ إلى الإشارةِ إلى معنى التَّعليلِ[3]؛ فكأنَّهم قالوا: (لأنَّنا آمنا)، وهذه فائدةُ الإطنابِ، الذي مآلُه إيجازٌ معنويٌّ، وإن ظهرَ بأنَّه إطنابٌ لفظيٌّ.

الإيماءُ إلى صدقِ الدَّاعينَ، ورجائِهم المُحاطِ بالخشيةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/184.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 2/99.
(3) السيوطي، الإتقان: 2/406 - 407، ومعترك الأقران: 1/609 - 610.

ثمَّ إنَّ (إنَّ) أكَّدَتْ مضمونَ الجملةِ، فنابَتْ عن تكرير الجُملة مرّتين، وهي أوجَزُ من تكريرِها مرّتين، مع حُصُول الغَرَضِ من التّأكيدِ، مع أنّ التّوكيد بإنّ، والتّكريرَ ليسَا بمنزلةٍ واحدةٍ[1]، فعلمنَا أنَّ ما كانَ إطنابًا في الظَّاهرِ، هو إيجازٌ في المآلِ.

بلاغةُ التَّفريعِ وخُروج لفظِ الأمرِ إلى معنى الدّعاء:

ترتيبُ طلبِ المغفرةِ على الإيمانِ دليلُ صدقٍ وتعليمُ صادقين

لمّا ذَكرَ الإقرارَ بالإيمانِ وأكّدَهُ بمؤكّداتٍ عدَّة، وفرَّع على قولِه: ﴿رَبَّنَآ﴾ فعلَ الدّعاءِ ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ الذي أفادَ ترتيبَ المغفرة على الإيمان؛ إذ إنّ من دواعي مغفرةِ الذّنوب الإيمانَ؛ فاقتضى التّفريعُ استطرادَ الدّاعين؛ فتوسّعوا بعد أن ذَكروا إيمانهم وأكّدوه في نُفوسهم وأقوالهم شَغَفًا وصِدقًا؛ ومن شأن التّفريع أنْ يزيدَ المُفرَّع عليه توكيدًا؛ فدعاؤهم هذا توكيدٌ لإيمانِهم وصدقِهم وقناعتِهم استحقاقَهم من الله تعالى تلك المغفرة[2].

وتفريعُ المغفرة على الإقرارِ بالإيمانِ دليلٌ على أنّه كافٍ في استحقاقِ المغفرةِ والاستعداد لها[3]، وقيل إنّ الفاء في قوله: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ للتّعليل؛ لأنّ الإيمانَ عِلّة الغُفران[4]، والأليقُ أن تكونَ تفريعيَّة، فإنَّ العبدَ لا يُعلِّل طلبَ مغفرتِه ليأخذها عدلًا، بل يلتمس المغفرةَ بالإيمانِ فضلًا.

بلاغةُ ترتيبِ طلبِ الوقايةِ على طلبِ المغفرة:

غفرُ الذُّنوبِ عن العبادِ أرجى وآكد في وقايتِهم من النَّار

ذكرَ الدَّاعون إيمانَهم بالله تعالى توسُّلًا به، ثم طلبوا المغفرةَ من باب التَّخلية، فقولهم: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ متضمّنٌ إقرارَهُم بالذُّنوبِ، ثمَّ قالوا: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، وجيءَ بحرفِ الواوِ عطفًا على فعل ﴿فَٱغۡفِرۡ﴾، إذ الوقايةُ من عذابِ النَّارِ تكونُ آكدَ عند مغفرةِ الذُّنوبِ،

(1) ابن يعيش، شرح المفصّل: 8/59، والسيوطي، الأشباه والنظائر: 1/29.
(2) ابن رشيق، العُمدة: 2/42.
(3) الكفويّ، الكُلّيات: 676 - 677، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/9.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/473.

وهو غايةُ المَقْصِدِ من المغفرة، وهو الوِقاية من عذاب النّار، وذلك كلُّه مقتضَى رضَا الله عنهم، ومجازاتِهم بالجنّة؛ فمَن وقاه الله من عذابِ النّار أكرمَه بدخول جنّته.

دلالة إضافة الجمع إلى المعرفة:

شِـدّة طمعِهم في مغفرة سائر الذّنوب صغيرِها وكبيرها

أُضيفتِ الذّنوبُ وهي جمعٌ في قولِه تعالى: ﴿ذُنُوبَنَا﴾ إلى ضمير المتكلّمين (نا) وهو معرفةٌ؛ لإفادةِ العمومَ، أي: اغفر لنا كلَّ ذنوبنا، فتشمَل الكبائرَ والصغائر[1]، وفي ذلك إجمالٌ في الدُّعاءِ، وهو فقهٌ روحي يرتاضه الدَّاعون، ويدلُّ على شدَّةِ طَمَعِهم في طلبِ المغفرةِ عن جميعِ الذُّنوب.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/280، والآلوسي، روح المعاني: 2/99.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»